يَسْرُونَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحاً كَأُسْدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرَفِ[1]
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلاَدِكُمْ فَسَقَوْكُمُ حَتْفاً بِبِيضٍ ذُفَّفِ[2]
مُسْتَنْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَضْعِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ[3]

قال ابن هشام: وسأذْكُرُ قتل سلاَّمِ بن أبي الْحُقَيْقِ في موضعه، إن شاء الله، وقوله «ذُفَّف» عن غير ابن إسحاق.

أَمْرُ مُحَيِّصَةَ وَحُوَيِّصَةَ

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ ظَفِرتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ فَاقْتُلُوهُ» فَوَثَبَ مُحَيِّصَةُ بن مسعودٍ (قال ابن هشام: ويقال: مُحَيِّصَةُ بن مسعود بن كَعْب بن عامر بن عَدِيُّ بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الحرث بن الخَزْرَجِ بن عمرو بن مالك بن الأَوْسِ) على ابن سُنَيْنَةَ (قال ابن هشام: ويقال: ابن سُبَيْنَةَ) رَجُلٍ من تُجَّارِ يَهُودَ كان يُلاَبِسُهُمْ ويُبَايعهم، فقتله، وكان حُوَيِّصَةُ بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلِمْ، وكان أَسَنَّ من مُحَيِّصَةَ، فلما قَتَلَه جعل حُوَيِّصَةُ يضربُهُ، ويقول: أيْ عَدُوَّ الله، أقتلته؟! أما واللَّهِ لَرُبَّ شَحْم في بطنك مِنْ ماله، قال مُحَيِّصَةُ: فقلت: واللَّهِ لقد أَمَرَني بِقَتْلِهِ مَنْ لَو أمرَنِي بقتلَكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ، قال: فوالله إنْ كان لأَوَّلَ إسلامِ حُوَيِّصَةَ، قال: آلله لَوْ أَمَرَكَ محمدٌ بقتلي لقتلتني؟! قال: نعم، واللَّهِ لو أمرني بضَرْبِ عنقك لضربتُهَا، قال: واللَّهِ إنَّ دِيناً بَلَغَ بك هذا لَعَجَبٌ، فأَسْلَمَ حُوَيِّصَةُ.

قال ابن إسحاق: حدثني هذا الحديثَ مَوْلى لبني حارثة، عن ابنة مُحَيِّصَةَ، عن أبيها مُحَيِّصَةَ، فقال مُحَيِّصَةَ في ذلك [من الطويل]:

يَلُومُ ابْنُ أُمِّي لَوْ أُمِرْتُ بِقَتْلِهِ لَطَبَّقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضَ قَاضِبِ[4]
حُسَامٍ كَلَوْنِ الْمِلْحِ أُخْلِصَ صَقْلُهُ مَتَى مَا أُصَوِّبْهُ فَلَيْسَ بِكَاذِبِ[5]

---

(١) يَسْرون: أي يَسيرون لَيْلاً. والبيض الخِفافُ: هي السُّيوف. ومُرُحٌ: بضمّ الميم والراء جَمْعُ مَرِح، وهو النَّشيطُ. ومن رواه بفتحها فإنَّه أراد المصدرَ، والعَرين: جَمْعُ عَرينةٍ وهي موضع الأسدِ، ومُغْرف أي: مُلْتَفُّ الشجر.

(٢) وذُفَّف أي: سريعةُ القَتْل، يقال: ذَفَّفْتَ على الجَريح: إذا أَسْرَعْتَ قَتْلَهُ.

(٣) المُجْحِفُ: الَّذي يَذْهَب بالنُّفوس والأموال. وينظر ديوانه ص (٣٠٦)، والبداية والنهاية (٤/ ١٠).

(٤) طبَّقْتُ ومعناه: قَطَعْتُ وأَصَبْتُ المَفْصِل. الذِّفرى: عَظْمٌ نَاتِىء خلف الأُذُن. بأبيض: يعني سيفاً، والقاضِب: القاطع، ومنه اشتقاقُ القَضِيب؛ لأنَّه قُضِب أي: قُطِع.

(٥) الحُسام: القاطِع أيضاً، أُصَوِّبْهُ معناه: أُمِيلُه للضرب بهِ.

وَمَـا سَـرَّنِـي أَنِّـي قَـتَـلْـتُـكَ طَـائِـعـاً وَأَنَّ لَنَا مَا بَيْنَ بُصْرَىٰ وَمَأْرِبِ[1] [٥٨٢].

قال ابن هشام: وحدَّثني أبو عُبَيْدة، عن أبي عمرو المدنيّ، قال: لما ظَفِرَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ببني قُرَيْظة، أخَذَ منهم نَحْواً من أربعمائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاءَ الأَوْسِ على الخزرج، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ بِأَنْ تُضْرَبَ أعناقهم، فجعلت الخزرج تَضْرِبُ أعناقهم، ويَسُرُّهُمْ ذلك، فنظر رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ إلى الخزرج وَوُجُوهُهُمْ مُسْتَبْشِرَةٌ، ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم، فظنَّ أن ذلك للحِلْفِ الذي بين الأوس وبين بني قُرَيْظَةَ، ولم يكن بقي من بني قريظة إلا اثنا عشر رجلاً، فدفعهم إلى الأوس: فدفع إلى كُلِّ رجلين من الأوس رجلاً من [بني] قريظة، وقال: «لِيَضْرِبْ فُلاَنٌ ولْيُذَفِّفْ فُلاَنٌ»، فكان ممن دفع إليهم كَعْبُ بن يَهُوذَا، وكان عظيماً في بني قُرَيْظَةَ، فدفعه إلى مُحَيِّصَةَ بْنِ مَسْعودٍ وإلى أبي بُرْدَةَ بن نِيارٍ، وأبو بُرْدَةَ هو الذي رَخَّصَ له رسول الله ـ ﷺ ـ في أن يذبح جَذَعاً من المَعْزِ في الأضحىٰ، وقال: «لِيَضْرِبْهُ مُحَيِّصَةُ، وَلْيُذَفِّفْ عَلَيْهِ أَبُو بُرْدَةَ»، فضربه مُحَيِّصَةُ ضربةً لم تقطع وذَفَّفَ أبو بردة فأجهز عليه، فقال حُوَيِّصَةُ ـ وكان كافراً ـ لأخيه محيصة: أَقَتَلْتَ كعب بن يهوذا؟! قال: نعم، فقال حُوَيِّصَةُ أما واللَّهِ لَرُبَّ شَحْمٍ قد نَبَتَ في بَطْنِكَ مِنْ ماله إنك لَلَئِيمٌ يا مُحَيِّصَةَ، فقال له مُحَيِّصَةُ/ (١٦٠/أ) لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلكَ لقتلتك، فَعَجِبَ من قوله، ثم ذهب عنه مُتَعَجِّباً، فذكروا أنه جَعَلَ يَتَيَقَّظُ من الليل فَيَعْجَبُ مِنْ قول أخيه مُحَيِّصَةَ حتى أصبح وهو يقُولُ: والله إنَّ هذا لَدِينٌ، ثم أتى النبي ـ ﷺ ـ فَأَسْلَمَ، فقال مُحَيِّصَةُ في ذلك أبياتاً قد كتبناها.

قال ابن إسحاق: وكانَتْ إقامةُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ بعد قُدُومِهِ مِنْ بُحْرَانَ: جُمَادَى الآخِرَةِ ورَجباً وشَعْبَانَ وشَهْرَ رَمَضَانَ، وغَزَتْهُ قُرَيْشٌ غزوةَ أُحُدٍ في شَوَّالٍ سنة ثلاث [٥٨٣].

---

[٥٨٢] أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٠) بسنده إلى ابن إسحاق به.
وأخرجه أبو داود في سننه (٣/ ١٥٥) كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة (٣٠٠٢) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٣١١ ـ ٣١٢) رقم (٧٤١).
وانظر البداية والنهاية (٤/ ١٠).
وانظر أسد الغابة (٢/ ٩٧٠) ترجمة (١٣٠٩ ـ بتحقيقنا) والإصابة ترجمة (١٨٨٦ ـ بتحقيقنا). والاستيعاب ت (٥٩٧ ـ بتحقيقنا).
[٥٨٣] انظر البداية والنهاية (٤/ ١٠ ـ ١١).

---

(١) بُصْرَى: مدينة بالشام، ومأرِبُ: موضعٌ باليمن. وينظر البداية والنهاية (٤/ ١٠).